

وثائق رُفعت السرية عن فحواها.. هل منعت ميركل أوكرانيا من الانضمام إلى حلف الشمال الأطلسي؟

مع انطلاق اجتماع رؤساء أركان دول حلف شمال الأطلسي (الناتو) في العاصمة النرويجية أوسلو السبت، حيث سيتم خلال الاجتماع تقييم الخطط المعدة لتعزيز قدرات الدفاع والردع للناتو، و**ملف الدعم لأوكرانيا**. فجرت مجلة شبيغل العديد من التساؤلات بعد طرحها دور المستشار الألمانية ميركل في **عرقلة قبول أوكرانيا لحلف الناتو**. وتساءلت المجلة الألمانية الرصينة: هل تتحمل ألمانيا مرة أخرى اللوم عن الحرب، ولكن هذه المرة بسبب الجبن؟

ولأول مرة منذ الهجوم الروسي على أوكرانيا، أصبح من الممكن تقييم الوثائق السرية السابقة الصادرة عن وزارة الخارجية: مسودات مذكرات التحدث لميركل، والمراسلات من السفارات في واشنطن وحلف شمال الأطلسي في بروكسل، ومذكرات من الإدارة السياسية للرئيس الألماني شتاينماير، الذي كان يشغل وقتها وزير الخارجية. بينت الوثائق التي رفعت السرية عنها دور كل من أمريكا وألمانيا في مسألة **انضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو**.

وبحسب المجلة، فإنه لم تكن أوكرانيا قط قريبة من الانضمام إلى التحالف الغربي كما كانت عندما وقف الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش بكل حزم خلف كييف. لكنها فشلت بسبب ميركل وساركوزي

وبالنسبة إلى زيلينسكي فالأمر واضح: بسبب "الخوف السخيف" من روسيا. وبسبب هذا «الحساب الخاطئ»، تشهد بلاده «أسوأ حرب في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية».

دفع اتهام زيلينسكي المستشار السابقة إلى كسر حاجز الصمت الذي حافظت عليه منذ تركها منصبها. وقالت إنها متمسكة بقراراتها المتعلقة بقمة الناتو عام 2008. وبعد ذلك بوقت قصير، تابع قائلاً: إن أوكرانيا كانت دولة منقسمة بشأن قضية حلف شمال الأطلسي، وكان فلاديمير بوتين ليرد بالفعل على الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي في "ذلك الوقت: لم أرغب في استفزاز روسيا

هل كان تصرف ميركل صحيحا؟

من أجل فهم أكبر لتصرف المستشارة السابقة والقدرة على تقييم ما حدث، تحدثت شبيغل مع ستة مشاركين في قمة بوخارست عام 2008. ويمكن الاستشهاد ببعضهم، مثل رئيس لاتفيا آنذاك فالديس زاتليرز ودبلوماسيين ومستشارين آخرين طلب بعضهم عدم الكشف عن أسمائهم. استمرت القمة من 2 إلى 4 إبريل، من الأربعاء إلى الجمعة. في الأمسية الأولى، تناولت ميركل العشاء مع رؤساء الدول والحكومات الآخرين، وفي اليوم التالي التقى الجميع بالوزراء والمستشارين والمسؤولين العسكريين في مجموعة كبيرة. وأخيرا، استقبل الرئيس فلاديمير بوتين. ويتذكر العديد من الشهود المعاصرين أن ميركل ارتدت سترة خضراء يوم الخميس، برزت بين البدلات الرمادية للرجال. وتقول المجلة إن جهودا كبيرة مارستها أوكرانيا من أجل قبول عضويتها في الناتو، حيث ظل الرئيس الأوكراني فيكتور يوشتشنكو عدة أشهر يناقش مثل هذه الإشارة مع دبلوماسيين أمريكيين، ووقعتها أعلى الهيئات الدستورية في أوكرانيا.

أخبر السياسيون الأوكرانيون الأمريكيين أنهم يسعون للحصول على عضوية الناتو. وكانت المشكلة أن الإصلاحات لم تكن تتقدم لتلبية معايير الناتو في الجيش والسياسة والقضاء. وكان هذا جزئياً فقط بسبب الكرمليين، الذي أضعف أوكرانيا حيثما كان ذلك ممكناً حتى لا تفقد نفوذها. وعلى مؤشر الفساد الذي تصدره منظمة الشفافية الدولية، أصبحت أوكرانيا في المرتبة 118، أي على مستوى روسيا تقريبا.

نصحت سفيرة الناتو الأمريكية في بروكسل فيكتوريا نولاند أنه يتعين على الحكومة الأوكرانية إطلاق حملة إعلامية شاملة لذلك، عندما يفكرون في "الناتو". بيد أن الرئيس الألماني فرانك فالتر شتاينماير والذي كان يشغل منصب وزير الخارجية الألماني آنذاك حذر زملاءه في الناتو في اجتماع سري حول المؤامرات السياسية الداخلية في كييف، بشأن قضية خطة عمل البحر المتوسط؛ وقال إنه "لا يمكن استبعاد الأجندات الخفية لما سيحدث".

لم تكن الأمور تسير على ما يرام لفترة طويلة في المجلس المشترك بين حلف شمال الأطلسي وروسيا، حيث كان الغرب وروسيا راغبين في التنسيق فيما يتصل بالسياسة الأمنية.

في بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، اعتقد بوتين أن روسيا يمكن أن تصبح عضواً في الناتو على قدم المساواة مع الأمريكيين. وأعلن في ذلك الوقت أن عضوية أوكرانيا لن تمثل مشكلة،

.لكن ذلك انتهى

في بداية عام 2008، أرسل بوتين الشعبي القومي المتطرف دميتري روجوزين إلى بروكسل، ويُلقب في موسكو بـ "المشاغب". وباعتباره سفيراً لحلف شمال الأطلسي، كان من المفترض أن يعمل روجوزين على صد نفوذ منتقدي روسيا، وخاصة بين الأعضاء الجدد في حلف شمال الأطلسي في أوروبا الوسطى والشرقية.

وادعى روجوزين أن دول البلطيق وشبه جزيرة القرم وأجزاء كبيرة من أوكرانيا تنتمي إلى "أراضي أجداد الأمة الروسية". وفي أول اجتماع له بالمجلس، أشار إلى المشاعر المناهضة لحلف شمال الأطلسي في أوكرانيا وهدد بأن انضمام أوكرانيا إلى الناتو قد "يثير الشكوك حول وجود أوكرانيا كدولة ذات سيادة".

وكانت محاولات الترهيب جزءاً من ذخيرة موسكو السياسية. ولم يترك بوتين أي مجال للشك في أن روسيا يجب أن تصبح قوة عظمى مرة أخرى. وهو ما دفع الألمان بقيادة ميركل إلى بذل المزيد من الجهود لعرقلة دخول أوكرانيا. وكان الأمريكيون بدورهم يراقبون عن كثب ما كان يفعله شتاينماير في بروكسل، الذي كان يحاول منع أوكرانيا وجورجيا من الظهور على جدول أعمال بوخارست. وعندما سجلت السفارة الأمريكية نولاند وزملائها نقطة، كتبوا بسعادة إلى واشنطن قائلين إن وجه السياسيين الألمان كان جامداً.

وتحدث السفير الألماني في بروكسل براندنبورغ بدوره عن السيناريو المرعب المتمثل في حدوث انقسام سياسي في أوكرانيا. وقال الدبلوماسي الألماني لزملائه الأمريكيين إنه "من المستحيل خلق الأمن في أوروبا بدون روسيا، ومن الغباء محاولة القيام بذلك ضد روسيا".

لقد ترك الرئيس بوش القضية الأوكرانية تنزلق لفترة طويلة لأن الحربين في أفغانستان والعراق سيطرتا على العناوين الرئيسية. كان بوش يؤمن بمهمة أمريكا المتمثلة في جلب الديمقراطية إلى العالم، وكان يدعمه أغلبية من الحزبين الجمهوري والديمقراطي في الكونغرس، بقيادة السيناتور الديمقراطي جو بايدن، الرئيس الحالي للولايات المتحدة. وكان كثيرون في الولايات المتحدة يعتبرون يوشينكو بطلاً، حتى إن كبار الديمقراطيين والجمهوريين رشحوا له لجائزة نوبل للسلام بعد الثورة البرتقالية.

لقد رأى بوش مشكلة الفساد في أوكرانيا، لكنه كان يأمل أن يساعد منظور حلف شمال الأطلسي الإصلاحيين في كييف ويدفع موسكو أيضاً إلى الاعتدال في التعامل مع أوكرانيا وجورجيا. لقد جادل الأمريكيون مراراً وتكراراً للألمان بأنه لا ينبغي تحت أي ظرف من الظروف أن

ينشأ انطباع بأن كييف وتبليسي قد تم حرمانهما من وضع خطة عمل
مراعاةً لموسكو. البحر المتوسط
رسميًا، أعلن الأمريكيون أن أوكرانيا ستتخذ قرارًا سياديًا بشأن
مسألة الناتو، لكن العديد من الدبلوماسيين والسياسيين الألمان
اشتبهوا سرًا في أن واشنطن تريد توسيع مجال نفوذها. إلا أن بوش
وجماعته أصيبوا بالضعف بسبب عائق ما: كان الجميع يعلمون أن
الرئيس لن يبقى في منصبه إلا لأشهر.
وقد جربت وزيرة الخارجية رايس حظها مع زميلها شتاينماير. من أجل
إقناعه، بيد أنها فشلت. كما حاول بوش إقناع ميركل التي كانت
تتهرب منه، واعترفت ميركل بالجهود المبذولة بروح الدعابة: "جورج،
لقد لاحظت بالفعل أنك تطلب من العديد من الأوروبيين التحدث معي عبر
الهاتف أيضًا. ثم أسألهم هل تتصلون بالنيابة عن جورج؟ وبعد ذلك
أعلم أن الأمر كذلك. لا فرق بين أن تتصل بنفسك أو تتصل بغيرك. فكرت
في الأمر بعناية. إنه ليس موقفًا تكتيكيًا، أنا مقتنع به. لا أعتقد
أنني واحد من هؤلاء الأشخاص الذين يقولون شيئًا مختلفًا مسبقًا عما
قلته في القمة.

في لقاء القمة ببوخارست أظهر بوش وجهًا طيبًا، لقد أكد لميركل
دائمًا أن التناقض العلني لن يشكل مشكلة. وشككت ميركل في النضج
الديمقراطي في أوكرانيا. وكانت تضع في اعتبارها مشكلة أسطول
البحر الأسود الروسي. وكان من المفترض أن تكون قاعدتهم الرئيسية
في شبه جزيرة القرم، وهي منطقة تابعة لحلف شمال الأطلسي في
المستقبل. وأشارت إلى معاهدة الناتو التي بموجبها يمكن فقط لأولئك
الذين يساهمون في "أمن منطقة شمال الأطلسي" أن يصبحوا أعضاء؛ لا
أحد يستطيع أن يزعم جدياً ذلك في حالة أوكرانيا وجورجيا. ولن
تتمكن الدول التي تعاني صراعات إقليمية من الانضمام.
والحقيقة، إن زعيمة حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي ميركل لم يكن
لديها مجال كبير للمناورة قبل عام من الانتخابات الفيدرالية. كان
يُنظر إلى أمريكا في عهد إدارة بوش باعتبارها عنيفة، ولا يمكن
التنبؤ بتصرفاتها.

خلال رحلة الوفد الألماني إلى قمة الناتو في بوخارست، دارت العديد
من الأحاديث حول الفرنسيين. ومن الواضح أن شتاينماير كان يشعر
بالقلق. هل يستسلم ساركوزي للضغوط الأميركية؟ عندها سيكون من
الصعب على الألمان منع الناتو من التوسع شرقًا.
وفي بوخارست، أقامت ميركل وشتاينماير في فندق هيلتون. وبدأت
المناقشات مع الوفود الأخرى في تلك الليلة. وفي الصباح كان من
الواضح أن ميركل لن تقف بمفردها. وردد أعضاء الوفد الألماني موقف

ساركوزي بقولهم إنه إذا احتفظت المستشارية بمنصبها فإنه سيفعل الشيء نفسه.

وفقًا لشهود عيان، انفجرت رايس في البكاء لأن الموقف الألماني بمساندة أوروبية ظل قويا، ولم تستطع فرض الأمر كما كانت ترغب، لذلك انطلقت من عينيها دموع الغضب.

وبعد بوخارست، حاول الرئيس يوشتنكو تغيير المزاج السائد في البلاد من أجل تخفيف تحفظات برلين. ووافق مجلس الوزراء في كيف على تمويل إضافي للعلاقات العامة، وشكّل مجموعة عمل مشتركة بين الوزارات، وأطلق حزب يوشتنكو حملة "نعم للنااتو". وكان من المتوقع أن يرتفع عدد المؤيدين للانضمام إلى 43% في عام 2009، ثم إلى 50% في عام 2010، وأخيراً إلى 55% في عام 2011.

وكانت السفيرة الأمريكية نولاند متحمسة، وأعلنت العديد من الدول الأعضاء أنها ستساعد الحكومة في عملية الانضمام، كيف، وربما أيضاً الحكومة الفيدرالية.

لكن الجهود باءت بالفشل. وفي عام 2010، فشل الإصلاحي يوشينكو بشكل واضح في الانتخابات الرئاسية. لقد فاز يانوكوفيتش، صديق روسيا، في جولة الإعادة في انتخابات الإعادة ضد تيموشينكو، فدفن مشروع الانضمام.

المصدر: صحيفة القدس العربي